

النصر والهزيمة في القرآن والسنن الكونية | د. البشير عصام

المراكشي

البشير عصام المراكشي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى الله وصحبه والتابعين. ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين حياكم الله معاشر الاخوة الاحبة والاخوات الفضليات واسأل الله عز وجل لي ولكم - 00:00:01 علما نافعا وعملا صالحا تحيتي للمشائخ الفضلاء الذين شرفوني بان اكون في زمرتهم في هذا اللقاء الطيب الذي اسأل الله عز وجل ان يبارك فيه ويجعله نافعا لمن شارك فيه او كان من المستمعين - 00:00:22

هذا الطوفان الذي بدأ منذ عام اظهر اشياء كثيرة كانت مستوره ومن ضمن ذلك مفاهيم كثيرة دخل عليها الغبش في اذهان الناس بشدة بعدهم عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن تدبر - 00:00:47

سيرته عليه الصلاة والسلام وتأمل السنن الكونية المطردة لاجل ذلك كله دخل الغبش والغموض على كثير من هذه المفاهيم ومنها مفهوم النصر والهزيمة وطالعنا اقوام كثيرون يحشرون النصر في الظفر المادي - 00:01:12

ويربطون الهزيمة بالخسائر المادية وجميع ذلك بمنأى عن شرع الله وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل هو بعيد عن حقائق الامور التي اتفق عليها البشر منذ ازمنة بعيدة ولكن كثير من الناس - 00:01:35

دخل عليهم الداخل من كثرة نظرهم في الاعلام الغربي وتآثرهم بهذه القوة الناعمة التي يتحكم الغربيون بها في وعيها يقول الله سبحانه وتعالى انا لننصر رسالنا والذين امنوا في الحياة الدنيا - 00:02:00

ويوم يقوم الاشهاد وهذا كلام ساقه الله عز وجل لتسلية رسوله صلى الله عليه وسلم ووعده بحسن العاقبة ولتسلية المؤمنين ووعدهم بالظفر والنصر وحسن العاقبة في الدنيا وفي الآخرة ومعنى ذلك ان الشأن المستمر - 00:02:21

اننا اي ان الله عز وجل ينصر رسله واتباعهم في الحياة الدنيا بالحججة وبالانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل وغير ذلك من الوان العقوبات ولا يقدح في ذلك كما ذكره المفسرون - 00:02:47

ما قد يقع للكفرة من صور الغلبة اذ يكون ذلك امتحانا للمسلمين وابتلاء لهم والعبرة انما هي بالعاقبة ويفغالب الامر لا بما يحدث في اثناء الطريق و قريب من هذا المعنى قول الله عز وجل وكان حقا علينا نصر المؤمنين - 00:03:09

والله عز وجل وعد المؤمنين بانه ناصرهم على من ظلمهم من اهل الكفر والعدوان في هذه الحياة الدنيا ثم يكون النصر كذلك الاشد والالهم والاعظم اثرا يكون في الحياة الاخرى - 00:03:40

ونحن اذا تأملنا واقع السيرة النبوية فاننا لا نجد ان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كان مع اصحابه رضوان الله عليهم وهم سادات هذه الامة كانوا في نصر دائم دون ابتلاء - 00:04:02

ولا قتل ولا جرح ولا عذاب ما كان هذا بل وجدنا كرا وفرا وكذلك بعد زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ازمنة الفتوح خلال الخلافة الراشدة كثير من الناس للأسف صاروا يتأثرون - 00:04:21

بخطاب الوعظ الذي يظهر بعض الاشياء ولا يظهر احداثا اخرى اكثرنا يذكر معركة القادسية مثلا ولكن قل من يذكر معركة الجسر التي قتل فيها ابو عبيد وخلق من الامراء ومن - 00:04:47

خيرة المسلمين الى ان اخذ الرایة المثنى ابن حارثة ومثلا يذكرون او نذكر اجمعين استعادة القدس على يد صلاح الدين ولكن لا نذكر

سقوطها وما كان فيه من الاهوال على المسلمين وعلى المسجد الاقصى - [00:05:08](#)
لذلك فنحن نحتاج الى اعادة صقل بمفهوم النصر والهزيمة لكي لا يتزعزع ايمان اقوام لم يحسنوا قراءة القرآن ولا تدبر سنن الله في الكون لذلك حين رأوا طوفان السابع من اكتوبر - [00:05:31](#)

قبل سنة ظنوا ان الامر سيكون نزهة على آآ طريقة ما يرونه في افلام السينما في افلام الابطال الخارقين ونحو ذلك ومتى كان الجهاد في تاريخ هذه الامة دون دماء واشلاء وتضحيات - [00:05:49](#)

واذا كان القتل قد لحق سادات هذه الامة من امثال حمزة ومصعب بن عمير وغيرهما رضوان الله عليهم فكيف نظن اننا سحرر ارضنا ونعيid مجد امتنا ونرفع راية جيلنا ونحن على ارائنا الوزيرة - [00:06:10](#)

لا يصيّبنا نصب ولا تعب ولا مشقة ولا لأ وولا دماء هذا كله من سوء فهم هذه المعاني ويكون نظرنا الى هذا المفهوم مفهوم النصر والهزيمة باعتبارات متعددة اول ذلك باعتبار العزة والذلة - [00:06:31](#)

عن ابن عمر رضي الله عنهم انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى الله وسلم يقول اذا تباعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا. لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا الى دينكم - [00:06:51](#)

ولم يقل سلط الله عليكم هزيمة لأن الهزيمة العسكرية المادية واردة ولكن غير الوارد هو الذل الذي لا يجتمع مع الایمان. والله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمؤمن ولو كان مهزوما بالمعايير المادي - [00:07:13](#)

يبقى عزيزا فيكون ذلك له نصرا اذ العزة تجتمع مع النصر وتأمل من تاريخ امتنا قصة عبدالله بن حداقة السهمي حين اسره الروم فقال له ملكهم هل لك الى ان تتنصر واعطيك نصف ملكي؟ قال لو اعطيتني جميع ما تملك - [00:07:34](#)

وجميع ملك العرب ما رجعت عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين قال اذا اقتلتك قال انت وذاك فامر به وصلب وقال للرماء ان يرموه قريبا من بدنه وهو يعرض عليه التنصر فيابي - [00:07:54](#)

انظر الى هذا الاباء والى هذه العزة والحال انك اذا تأملت ذلك بمقاييس المادة تجد هذا شخص ضعيفا انسان ضعيفا وقد قبض عليه هذا الملك وهو بين حاشيته وعساكره وجندوه. فبمقاييس المادة وحدها - [00:08:13](#)

هذا من هزم وذاك منتصر ولكن بمقاييس العزة والذلة اraham عبدالله بن حداقة من نفسه جلدا وعزه واباء نفس ما قبل منهم شيئا مما دعوه اليه ودعا الملك بقدر فصب فيها ماء حتى - [00:08:33](#)

احترق ودعا باسirين من المسلمين فامر باحدهما فالقي في ذلك الماء وهو في اثناء ذلك يعرض على عبد الله ابن حداقة النصرانية فيابي ثم بكى وظن الملك انه قد جزع فقال ما ابكاك - [00:08:56](#)

قال بكيت لانها نفس واحدة تلقى فيها الان فتذهب فكنت اشتتهي ان يكون بعد شعرى انفس تلقى في النار الله عز وجل فكان من تمام القصة ان قال له الطاغية الرومي هل لك ان تقبل رأسى واخلي عنك - [00:09:15](#)

وقال له اما هذه فنعم ولكن تخلي جميع الاسرى. قال نعم فقبل رأسه وقدم بالاسرى كلهم على عمر ابن الخطاب فاخبره خبره فقال عمر حق على كل مسلم ان يقبل رأس ابن حداقة - [00:09:36](#)

الشاهد عندي من هذه القصة وامثالها اكثر من ان يحصر في تاريخ الامة في زمن عزتها ان العبرة عند الكلام على النصر والهزيمة انما هو من العزيز ومن الذليل والاعتبار الثاني في هذا المفهوم - [00:09:53](#)

اعتبار فرض الارادة على الاخر ومقدار الثبات على المبادئ للنظر الى الخسارة المادية من قتل ونحو ذلك. وقد روی مسلم في صحيحه قصة الغلام وهي مشهورة اه وهي طويلة لكن الشاهد عندي - [00:10:14](#)

ان الغلام حين اراد ان يقتله ذلك الملك ما استطاع الى ذلك سبيلا فقال له للملك انك لست بقاتلتي حتى اجمع الناس في صعيد واحد وتأخذ سهما من كنانتي ثم - [00:10:33](#)

ترمي السهم وتقول باسم الله رب الغلام فانك ان فعلت ذلك قتلتني سمع رأى الناس ذلك وفعلا قتل الغلام قال الناس امنا برب الغلام وامر بالاخذ وخد واضرمت فيه النيران وقال من لم يرجع عن دينه - [00:10:48](#)

والقوه في النار فحتى يعني فبدأ يلقى هؤلاء اصحاب الاخذود حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام انطقه الله عز وجل وقال يا امه اصبري - 00:11:12

فانك على الحق. وفي ذلك قول الله عز وجل قتل اصحاب الاخذود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهدوا. وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد - 00:11:28

هؤلاء قتلوا وما رأوا في الدنيا نصرا. فهل يجرؤ مسلم ان يقول قد كانت تلك هزيمة لا يجرؤ على ذلك مسلم. بل هو نصر واي نصر وربنا سبحانه وتعالى يقول ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا - 00:11:43

ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر واولئك حبطة اعمالهم في الدنيا والآخرة. واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الشأن كله ليس في الهزيمة الدنيوية وانما في مقدار الثبات على الدين - 00:12:06

وهم يسعون الى ان يردونا عن ديننا ان استطاعوا والله عز وجل يقول ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر واولئك حبطة اعمالهم في الدنيا والآخرة اولئك هم المهزومون - 00:12:27

والا فاما دمت ثابتنا على دينك فانت منتصر بل ما دام الانسان ثابتنا على مبادئه لهذه المبادئ على غيره فهو المنتصر. ولذلك لو تأملت الحرب العالمية الثانية لوجدت ان الحلفاء الذين يقال انهم منتصرون وباجماع المؤرخين هم المنتصرون تجد ان خسائرهم المادية اكبر - 00:12:43

من خسائر هؤلاء المهزومين. لكن لما سموا منتصرين؟ لأنهم فرضوا ارادتهم وما مبادئهم. وكذلك جميع الحركات التحررية حتى من ليسوا من المسلمين لابد ان تخسر الكثير ولكنها تفرض تحررها على المفترض المعتمدي فتكون بذلك منتصرة غير غير مهزومة - 00:13:09

والاعتبار الثالث اعتبار العاقبة في الدنيا انظر مثلا تأمل معى هذا المعنى لو اتنا او قفنا الزمن في اخر غزوته احد كيف ستكون نظرتنا المادية؟ الخالصة للمسلمين والمشركين من جهة النصر والهزيمة - 00:13:33

ستتأمل فتجد ان المسلمين قد قتل منهم العدد الغفير من اكابرهم وساداتهم وان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم قد جرح وشج في وجهه يعني ابتلاء شديد على المسلمين وهؤلاء - 00:13:59

الكافر المشركون متجردون. فلو انك وقفت هنا ولم تنظر الى ما يأتي بعد ذلك من احداث في السيرة النبوية بان المسلمين هم المهزومون وهذا كله نظر لا يتأمل في عواقب الامور - 00:14:20

وهنالك شيء من سنن الله في الكون اسمه سنة التداول كما يقول الله عز وجل يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله. وتلك الايام نداولها بين الناس. وليرعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله - 00:14:40

لا يحب الظالمين وليرمحص الله الذين امنوا ويتحقق الكافرین ومن عظيم فقه الامام الشافعی رحمة الله انه قيل له ايماء افضل للمسلم ان يمكن او ان يبتلى قال لن تتمكن حتى تبتلى - 00:14:58

هذه السنة المضطربة وفي حديث ابي سفيان انه رضي الله عنه آآ ان هرقل قال له في الحديث المشهور وكذلك الرسل تبتلى. ثم تكون لهم العاقبة العبرة ليست بابتلاء البدائيات وانما بنصر النهايات ولكن اين الصابرون - 00:15:17

اين الصابرون الذين لا يهتمون للابتلاءات التي تكون في اوائل الامور. وانما يتوقعون وينتظرون امنونا فيما يكون من العاقبة في الدنيا. والاعتبار الاخير اعتبار العاقبة في الآخرة الله عز وجل يقول ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة - 00:15:40

مقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويعذبون وعذابهم حقا في التوراة والانجيل والقرآن. ومن اوفى بهعده من الله فاستبشروا ببعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. انها تجارة مع الله عز وجل. فطوبى لمن باع نفسه لربه - 00:16:03

وتعالى. ومن اعظم حكم الجهاد في سبيل الله اتخاذ الشهداء قال ربنا سبحانه وتعالى وليرعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء. والله لا يحب الظالمين. ومرتبة الشهادة مرتبة عظيمة هذه التي ينالها الكثيرون اليوم - 00:16:23

فيما نحسبهم والله حسيبهم هي مرتبة بلغ من فضلها ان تمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما قال في حديث ابي هريرة وهو ثابت في الصحيح. انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي. وتصديق برسلاني ان ارجعه بما نال من - [00:16:45](#)
او غنية او ان ادخله الجنة. ولو لا هنا الشاهد ولو لا ان اشق على امتي ما قعدت خلف سرية ولو وددت اني اقتل في سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل - [00:17:05](#)

والشهداء احياء عند ربهم. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا. بل احياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما اعظم فضل الشهيد - [00:17:22](#)
والشهداء وال المسلمين ليس عندهم خيار بين نصر وهزيمة. وانما خيارهم بين الحسينيين النصر او الشهادة كما قال الله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسينيين؟ ونحن نتربيصكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده - [00:17:42](#)

او بايدينا فتربيصوا انا معكم متربصون. ومعنى الآية انكم اه لا تنتظرون من حالتنا الا احدى الحسينيين حسنة عاجلة وهي النصر او حسنة اجلة وهي الشهادة اما نحن فننتظر من حالكم ان يعزبكم الله عز وجل في الآخرة - [00:18:04](#)
بعذابه عذاب النار والعياذ بالله تعالى او يعزبكم ايضا في الدنيا با يكون هذا العذاب اما بايدي المسلمين او على غير ايدينا اما بعذاب على غير ايدينا كما قد يقع على هؤلاء الكفار من الخوف كالذي - [00:18:28](#)

نشاهدهم اليوم مرعوبون خائفون والعياذ بالله تعالى. او الجوع او غير ذلك. او ان يكون العذاب بايدي المجاهدين. وهو عذاب القتل آآ في الجهاد في سبيل الله. ففرق شاسع وبون عظيم بين الفريقين - [00:18:45](#)
في عاقبة الحرب التي تكون بينهما. سواء اكان ذلك في حال الغلبة او في حال الهزيمة. المسلمين كما قلت واكرر ذلك ما عندهم اه نظر واختيار بين نصر وهزيمة. لا هزيمة في معاجم المجاهدين. وانما هو النصر فان - [00:19:03](#)

لم يكن النصر في الدنيا فهي الشهادة واعظم بذلك نصرا. اسأل الله عز وجل ان ينصر المجاهدين في سبيله نصرا مؤزرا ان يهلك عدوهم وان يثبت اقدامهم. وان ينصرهم على عدوهم واقول قولي هذا واستغفر الله لي ولهم. والحمد لله رب العالمين - [00:19:27](#)